الجمع العُثمانيّ للقُرآن الكريم
الدَّوافع والحَيثِيَّات

د. طه محمَّد فارس

مقدمة

إنَّ الله الذي أنزل كتابه بالحقِّ مباركًا ونورًا ورحمة وهدى للنَّاس، ولم يجعل له عوجًا، أكَّد تعالى بأنَّه هو الحافظ له من أن يُزَاد فيه ما ليس منه أو ينقص، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فهو جل جلاله الحافظ لحروف كتابه وحدوده وأحكامه، يقيِّض لحفظه من يشاء من خلقه، إلى أن يَرِث الله الأرض ومَن عليها.

وقد كان الجمع العثمانيُّ لكتاب الله تعالى شكلًا من أشكال الحفظ الرَّبانيّ لكتابه عن الاختلاف في قِراءته، لذلك لـمَّا استشعر سيدُنا عثمان رضي الله عنه خطرَ الاختلاف بين المسلمين الجُدد في قراءة كتاب الله تعالى، ورأى أنَّ بعضَهم جعل يُخطِّئ بعضًا، قام في النَّاس خطيبًا وقال: «أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عنِّي من الأمصار أشدُّ فيه اختلافًا وأشدُّ لحنًا، اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للنَّاس إمامًا»،[1] فأراد رضي الله عنه بهذا العمل التاريخي العظيم أن يقطع على النَّاس طريق الاختلاف في قراءة كتاب الله، فاختار لهذه المهمَّة الخطيرة أكثرَ الصحابة اتقانًا وحفظًا، ورسم لهم منهجًا غايةً في الدِّقة والضَّبط والإحكام، فلمَّا تمَّ له ما أراد،

١ المصاحف لابن أبي داود، ١/ ٢١١، ٢١٢.

أرسل إلى كلِّ صقع من أصقاع بلاد المسلمين مصحفًا، وأرسل معه من يُقرِئه، ثمَّ أمر بما سوى ذلك من المصاحف الشخصية أن تُحرق، فكان فعله رضي الله عنه موضع استحسان المسلمين على مرِّ الزمان.

وقد تنولت في المبحث الأول من هذه المقالة جمع القرآن الكريم وبيان المراد منه، وفي الثاني جمع القرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه.

المبحث الأول: جمع القـرآن وبيان المراد منه

١: معنى الجمع في اللغة: تُطلق كلمة «جمع» في اللغة ويُراد منها: تأليف المتفرِّق، أو ضَمُّ الأشياء المتفرّقة بعضها إلى بعض،[١] فيُقال: جمعت الشيءَ المتفرّق فاجتمع، والجمع: مصدر قولك جمعت،[٢] وجَمَعَ الشيءَ عن تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً، وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع، والمجموع: الذي جُمع من ههنا وههنا وإِن لم يجعل كالشيء الواحد.[٣]

قال ابن فارس: «الْجِيمُ وَالْمِيمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى تَضَامِّ الشَّيْءِ».[٤]

٢: معنى الجمع في الاصطلاح: يُرَاد بجمع القرآن أحد معنيين اثنين، وكلاهما لا يخرجان عن معنى الجمع في اللغة:[٥]

الأول: الحفظ والاستظهار، وهو جمع معنوي.

والثاني: الكتابة والتدوين في الصحف والسطور، وهو جمع مادي.

أمَّا المعنى الأوَّل فيدلُّ عليه ما ورد في كتاب الله تعالى، بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ

١ ينظر: الصحاح للجوهري ٣/ ١١٩٨، لسان العرب ٨/ ٥٣ (ج م ع).

٢ ينظر: الصحاح للجوهري ٣/ ١١٩٨.

٣ ينظر: لسان العرب ٨/ ٥٣.

٤ ينظر: مقاييس اللغة ١/ ٤٧٩.

٥ ينظر: مناهل العرفان للزرقاني١/ ٢٣٢، المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد محمد أبو شهبة ٢٣٦، مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ٦٧، من روائع القرآن لمحمد سعيد البوطي ٤٨، علوم القرآن الكريم لعدنان زرزور ٨١، علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر ١٦١.

﴿وَقُرۡءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧]، وهنا ورد الجمع بمعنى الحفظ، قال أبو جعفر الطبري: «يقول تعالى ذكره: إنَّ علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى نثبّته فيه، ﴿وَقُرۡءَانَهُۥ﴾ يقول: وقرآنه حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك».[1]

وأوَّل مَن جمع القرآن الكريم حفظًا هو رسول الله ﷺ، فقد كان حريصًا على ذلك، ويخشى أن يتفلَّت منه، فيحرّك شفتيه ولسانه عند نزول الوحي، وذلك في أوَّل أمره، فجاء التَّطمين من الله تعالى له بأن لا يفعل ذلك، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ سيجمعه في قلبه، ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: (كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شِدَّة، فكان يحرّك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه، يريد أن يحفظه، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۞ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٧]، قال: يقول: إنَّ علينا أن نجمعه في صدرك، ثمَّ نقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ﴾ يقول: إذا أنزلناه عليك ﴿فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] فاستمع له وأنصت، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩] أن نبيّنه بلسانك، وفي لفظ: علينا أن نقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق، وفي لفظ: استمع، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله).[2]

كما كان ﷺ يتلو كتاب الله عن ظهر قلب آناء الليل وآناء النهار، ويَقْرؤه على النَّاس على مُكث كما أمره مولاه، ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

ولزيادة التثبُّت كان جبريل يعارضه بالقرآن في كلِّ عام مَرَّة، وعارضه إيَّاه في العام الذي تُوفي فيه ﷺ مرتين، ففي الحديث الذي ترويه عائشة رضي الله عنها، عن فاطمة رضي الله عنها قالت: (أسرَّ إليَّ[3] إنَّ جبريل كان يعارضني القرآن كلّ سنة مَرَّة، وإنَّه عارضني العام مَرَّتين، ولا أُراه إلَّا حضر أجلي).[4]

١ تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ٢٤/ ٦٨.
٢ أخرجه البخاري في بدء الوحي ١/ ٦ برقم ٥، ومسلم في الصلاة، باب: الاستماع للقراءة ١/ ٣٣٠ برقم ٤٤٨.
٣ أي رسول الله ﷺ.
٤ البخاري في المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام ٣/ ١٣٢٧ برقم ٣٤٢٦، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ ٤/ ١٩٠٥ برقم ٢٤٥٠.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «كان يَعْرِضُ[1] على النَّبيِّ ﷺ القرآن كلَّ عام مَرَّة، فَعَرَض عليه مرتين في العام الذي قُبض».[2]

أمَّا الصحابة رِضوان الله عليهم فقد كان حفظ القرآن الكريم وتطبيقُه يَتبوَّأ من نفوسهم المركز الأول، كما كانوا يتنافسون في استظهاره وحفظه وتدبُّر آياته وفهمه، ويُحَفِّظُونه أزواجَهم وأولادَهم، أحْيُوا به ليلهم، فـ ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧].

وكان الذي يمرُّ ببيوت الصحابة يسمع لهم دَوِيًّا كدَوِيّ النَّحل بالقرآن، فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (إني لأَعْرِفُ أصوات رِفقةِ الأشعريين بالقُرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أرَ منازلَهم حين نزلوا بالنهار).[3]

وكان رسول الله ﷺ يشجِّعهم على حفظ القرآن، ويختار لهم من يعلمهم القرآن، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «كان الرَّجل إذا هاجر دفعه النَّبيُّ ﷺ إلى رجل مِنَّا يعلمه القرآن، وكان يُسْمَعُ لمسجد رسول الله ﷺ ضَجَّةٌ بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله ﷺ أن يُخفضوا أصواتهم لئلَّا يتغالطوا».[4]

وقد بَعث رسولُ الله ﷺ مصعبَ بن عمير وابنَ أم مكتوم رضي الله عنهما إلى أهل المدينة قبل الهجرة يُعلِّمانهم الإسلام، ويُقرِئانهم القرآن، كما أرسل مُعَاذ بن جبل رضي الله عنه إلى مَكَّة بعد هِجرته للتحفيظ والإقراء.[5]

وكان اعتمادهم الأبرز في الحفظ على التَّلقِّي والسَّماع منَ رسول الله ﷺ، أو ممَّن تلقَّاه منه من الصحابة رضي الله عنهم، حيث توفَّرت فيهم العواملُ التي تؤهِّلُهم

---

١ أي: جبريل عليه السلام.

٢ البخاري في فضائل القرآن ٤/ ١٩١١ برقم ٤٧١٢.

٣ البخاري في المغازي، باب: غزوة خيبر ٤/ ١٥٤٧ برقم ٣٩٩١، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: من فضائل الأشعريين ٤/ ١٩٤٤ برقم ٢٤٩٩.

٤ ينظر: مناهل العرفان ١/ ٢٢٤.

٥ المصدر السابق.

لحفظ كتاب الله لأبعد مدى، ومن تلك العوامل:[١]

١. قوَّة ذاكرتهم التي عُرفوا بها واشتهروا، وتعويلهم على الحفظ؛ لأنَّهم أُمَّة أميَّة لا يقرؤون ولا يكتبون (على الأغلب الأعم).

٢. نزول القرآن الكريم مُنجَّمًا ـ كما لا يخفى ـ ممَّا ساعدهم على الحفظ.

٣. لزوم قراءة شيء من القرآن في الصَّلاة، فقد كانوا من أهل التَّهَجُّد وقيام الليل، ومدحهم الله بذلك فقال: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧].

٤. وجوب العمل بالقرآن، حيث كان هو ينبوعَ عقيدتهم وعبادتهم ووعظهم وتذكيرهم، ترجموه إلى سلوك وخُلق وحضارة.

٥. حَضُّ النَّبيّ ﷺ على قراءة القرآن وحفظه، والتَّرهيب من نسيانه وهجره، ومفاضلة النبي ﷺ بين أصحابه بالقرآن الكريم.[٢]

٦. تعاهد النَّبيِّ ﷺ الصَّحابة بتعليم القرآن.

٧. بلاغة القرآن التي ملكت الأفئدة، فقد كانوا يتذوَّقون الكلام ويحفظون من أجوده، فلا عجب أن يُقبلوا على حفظ القرآن.

٨. صَفاء بيئتهم التي يعيشون فيها، وبُعْدِهم عن التَّرف، واقتناعهم بضروريات الحياة فقط، وبُعْدِهم عن مشاغل الدنيا.

هذا، وقد حفظ القرآن الكريم جمعٌ من صحابة رسول الله ﷺ في حياته،[٣] وأرشد الرسول ﷺ أصحابه ليأخذوا القرآن من نخبة من هؤلاء الحفاظ من الصحابة، خصَّصَهم لأخذ القرآن عنهم.

١ ينظر: مناهل العرفان ١/ ٢٨٤ ـ ٣٠٥، علوم القرآن للعتر ١٦٢-١٦٣ مختصرًا، دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي ٧٩، إتقان البرهان لفضل عباس ١/ ١٩٢.

٢ كقوله ﷺ: (يَؤمُّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله) أخرجه مسلم في المساجد، باب: مواضع الصلاة برقم ٥٣.

٣ قال الزركشي في البرهان ١/ ٢٤١: «حفظه في حياته جماعة من الصَّحابة، وكلّ قطعة منه كان يحفظها جماعة، أقلُّهم بالغون حَدَّ التَّواتر».

وقد ذُكِرَ عبدُ اللهِ بنُ مسعود عند عبدِ الله بن عمرو رضي الله عنهما فقال: ذاك رجلٌ لا أزال أُحِبُّه، سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: (خُذوا القرآن من أربعةٍ: من عبد الله بن مسعود فبدأ به، وسالم مولى أبي حذيفة، ومُعاذ بن جبل، وأبي بن كعب).[1]

وسالم المذكور في الحديث هو: سالم بن معقل مولى أبي حذيفة، وقد قتل في وقعة اليمامة،[2] أمَّا مُعاذ بن جبل رضي الله عنه فقد مات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومات أُبَيّ وابن مسعود رضي الله عنهما في خلافة عثمان رضي الله عنه، وتأخَّر زيد بن ثابت رضي الله عنه، وانتهت إليه الرِّياسة في القراءة، وعاش بعدهم زمنًا طويلًا.[3]

قال ابن حجر عن الحديث: «ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، بل كان الذين يحفظون مثلُ الذين حفظوه وأَزْيَد منهم جماعة من الصحابة، وقد تقدَّم في غزوة بئر معونة[4] أنَّ الذين قُتلوا بها من الصَّحابة

١ البخاري في المناقب، باب: مناقب أبي بن كعب ٣/ ١٣٨٥ برقم ٣٥٩٧، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه ٤/ ١٩١٣ برقم ٢٤٦٤.

٢ موقعة اليمامة: حدثت في زمن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ سنة ١١هـ، حيث ارتدت قبائل من العرب في الجزيرة العربية عن الإسلام، وكان من أخطر المرتدين بنو حنيفة أتباع مسيلمة الكذاب في اليمامة، وقد وجه أبو بكر رضي الله عنه جيشًا من المسلمين بقيادة خالد بن الوليد للقضاء عليهم، وقد حدث في تلك الوقعة قتال ضار، وقتل الكثير، وانتهت الوقعة بنصر المسلمين وبقتل مسيلمة الكذاب، وقد عاد من بقي منهم إلى الإسلام، كما أنه قتل في هذه الوقعة من المسلمين ٦٦٠ شهيدًا من الأنصار والمهاجرين إضافة إلى بعض الأعراب، وقتل من بني حنيفة ٢٠ ألفًا، وكان معظم قتلى المسلمين من حملة القرآن. ينظر: الفتوح الإسلامية لعبد العزيز العمري ١٠٣.

٣ الإتقان ١/ ٢٤٤.

٤ بئر معونة: وقعت هذه الحادثة في شهر صفر بعد أربعة أشهر من غزوة أحد، حيث قَدِمَ أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه، فلم يسلم ولم يبعد عن الإسلام، وقال: يا محمد لو بعثت رجالًا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: «إني أخشى أهل نجد عليهم»، قال أبو براء: أنا لهم جار فابعثهم، فليدعوا الناس إلى أمرك، فبعث رسول الله ﷺ سبعين من أصحابه، وقيل: أربعين، وأمرَّ عليهم المنذر بن عمرو وكانوا من خيار الصحابة، فساروا حتى إذا نزلوا بئر معونة، وهي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم، فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلم ينظر فيه، وأمر رجلًا فطعنه بالحربة من خلفه، ثم خرج في رجال من عُصيَّة ورِعْل وذَكوانَ فأتوا أصحاب النبي ﷺ وقد ناموا، فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قُتلوا عن آخرهم رحمهم الله، إلا كعب بن زيد من بني دينار فإنهم تركوه وبه رمق، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدًا رحمه الله. ينظر: عيون الأثر لابن سيد الناس ٢/ ٦١.

كان يُقَال لهم القُرَّاء، وكانوا سبعين رجلًا».[١]

وعن قتادة رضي الله عنه قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ فقال: «أربعة كلهم منَ الأنصار: أُبَيُّ، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت»، قلت لأنس: مَن أبو زيد؟ قال: «أحد عمومتي».[٢]

والرواية الثالثة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مات النَّبيُّ ﷺ ولم يجمع القرآنَ غيرُ أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد».[٣]

وقد أجاب عن هذا الحديث أبو بكر الباقلاني (محمد بن الطيب ت٤٠٣هـ) وذكر في ذلك ثمانية أوجه،[٤] ولكن لم يرتضِ ابنُ حجر هذه الأوجه وقال: «وفي غالب هذه الاحتمالات تكلُّف، لاسيما الأخير».[٥]

وأجاب أبو العباس القُرطبي (أحمد بن عمر ت٦٥٦هـ) عن هذا الحديث بقوله: «فإن قيل: فإذا لم يكن له دليل خطاب فلأي شيء خصَّ هؤلاء الأربعة بالذكر دون غيرهم؟ فالجواب من أوجه:

أحدها: أنه يحتمل أن يكون ذلك لتعلُّق غَرَض المتكلِّم بهم دون غيرهم، كالحال في ذكر الألقاب.

وثانيها: لحضور هؤلاء الأربعة في ذهنه دون غيرهم.

وثالثها: أنَّ هؤلاء الأربعة قد اشتهروا بذلك في ذلك الوقت دونَ غيرهم ممَّن يحفظ جميعه.

ورابعها: لأنَّ أنسًا سمع من هؤلاء الأربعة إخبارهم عن أنفسهم أنَّهم جمعوا

---

١ الفتح ٩/ ٤٨. وقد نقل السيوطي كلام ابن حجر في الإتقان ١/ ٢٤٤ دون الإشارة إلى ذلك.

٢ البخاري في المناقب، باب: مناقب زيد بن ثابت ٣/ ١٣٨٦ برقم ٣٥٩٩، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي ابن كعب ٤/ ١٩١٤ برقم ٢٤٦٥.

٣ البخاري في فضائل القرآن، باب: القُرّاء من أصحاب النبي ﷺ برقم ٤٧١٨.

٤ الانتصار ١/ ١٦٦.

٥ ينظر: فتح الباري ٩/ ٥١.

القرآن، ولم يسمع مثلَ ذلك من غيرهم، وكلُّ ذلك محتمل، والله تعالى أعلم».[1]

وقال ابن حجر في توجيه هذا الحديث: «المراد: إثبات ذلك للخزرج دونَ الأوس فقط، فلا ينفي ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين ومَن جاء بعدهم، ولأنَّه قال ذلك في معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج، كما رُوي عن أنس رضي الله عنه قال: «افتخر الحَيَّان: الأوس والخزرج، فقال الأوس: منا أربعة: من اهتزَّ له العرش سعد بن معاذ، ومن عدلت شهادته رجلين: خزيمة بن ثابت، ومن غسلته الملائكة: حنظلة بن أبي عامر، ومن حمته الدَّبَر: عاصم بن ثابت، فقال الخزرج: مِنَّا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم، فذكرهم».[2]

فالحُفَّاظ الذين حفظوا القرآن في زمن رسول الله ﷺ من الصحابة كُثرٌ، وليس فقط هؤلاء السبعة الذين ذكروا في الأحاديث التي وردت في البخاري، والتي تُوْهِمَ تحديدهم بسبعة فقط.

وقد ذكر أبو عُبيد بن سلَّام (القاسم بن سلّام ت٢٢٤هـ) القراءَ من أصحاب النبي ﷺ فعدَّ منهم: المهاجرين الخلفاء الأربعة، وطلحة، وسعدًا، وابن مسعود، وحذيفة، وسالمًا، وأبا هريرة، وعبد الله بن السائب، والعبادلة (عبد الله بن عباس، عبد الله بن عمر، عبد الله بن عمرو بن العاص، عبد الله بن الزبير)، ومن النِّساء: عائشة، وحفصة، وأمّ سَلَمة.[3]

وحفظ القرآن منَ الأنصار في حياة النبي ﷺ (غير من ذكر في الحديث): عبادة بن الصامت، ومعاذ أبو حليمة، ومَجْمَع بن جارية، وفُضَالة بن عُبيد، ومَسْلَمة بن مَخْلَد، وهذا التَّعداد ليس للحصر إنما للبيان.[4]

---

١ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم / ٣٨٠.

٢ الفتح ٩/ ٥١، الإتقان ١/ ٢٤٧.

٣ ينظر: المرشد الوجيز لأبي شامة ٤٠ ـ ٤٢، النشر في القراءات العشر للجزري ١:/ ٦، الفتح ٩/ ٥٢، الإتقان ١/ ٢٤٩.

٤ ينظر: مقالة لعمر يوسف حمزة بعنوان: جمع القرآن وتوثيقه في عهد النبي ﷺ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ـ دبي ـ العدد (٢٣).

ويشهد لذلك أيضًا كَثْرة من قُتِل من حُفاظ الصحابة في موقعة اليمامة، حيث قُتل سبعون من القُرَّاء، وقُتِل في عهد النبي ﷺ ببئر معونة مثلُ هذا العدد.[١]

قال الماورديُّ (علي بن محمد ت٤٥٠هـ): «وكيف يمكن الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة، وتفرُّقهم في البلاد، وهذا لا يتمُّ إلَّا إن كان لقيَ كلَّ واحد منهم على انفراده، وأخبره عن نفسه أنَّه لم يَكمُل له جمعٌ في عهد النبي ﷺ، وهذا في غاية البعد في العادة، وإذا كان المرجع إلى ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك».[٢]

وقد ذكر الحافظ الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ) أنَّ هذا العدد من القُرَّاء هم الذين عرضوه على النَّبيِّ ﷺ، واتَّصلت بنا أسانيدهم، وأمَّا مَن جمعه منهم ولم يتَّصل بنا سندُهم فكثير.[٣]

ولا يخفى أنَّ حِفْظ القرآن في الصدور كان العُمدة في نقل القرآن، قال ابن الجزري (محمد بن محمد ت٨٣٣هـ): «إنَّ الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على خط المصاحف والكتب، أشرفُ خصيصة مِنَ الله تعالى لهذه الأُمَّة».[٤]

وفي الحديث عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي[٥] فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ».[٦]

١ ينظر: الإتقان ١/ ٢٤٥.

٢ البرهان ١/ ٢٤٢، الإتقان ١/ ٢٤٥.

٣ البرهان ١: ٢٤٢.

٤ النشر في القراءات العشر ١/ ٦.

٥ ثَلَغ الشيءَ يَثْلَغُه ثَلْغًا: شدَخَه، وثَلَغَ رأْسَه يَثْلَغُه ثَلْغاً هَشَمَه وشدَخَه. ينظر: لسان العرب ٨/ ٤٢٣ (ث ل غ).

٦ مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٤/ ٢١٩٧ برقم ٢٨٦٥.

فالله تعالى أخبر بأنَّ هذا القرآن لا يُحتَاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء، بل يقرؤوه في كلِّ حال، كما جاء في الحديث أيضًا: (أناجيلهم في صدورهم)،[1] وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه لا في الكتب ولا يقرؤونه كلَّه إلّا نظرًا، لا عن ظهر قلب.[2]

وأما المعنى الثاني: وهو جمع القرآن بمعنى كتابته وتدوينه في الصُّحف والسطور، فلا يخفى أنَّ الكتابة لم تكن منتشرةً بين العرب في ذلك الوقت الذي كان ينزل فيه القرآن على رسول الله ﷺ، وقد كان العرب أُمَّة أميَّة تعتمد على حافظتها، وكان رسول الله ﷺ كذلك، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة، ٢/٦٢].

إلَّا أنَّ رسول الله ﷺ لم يكتف بحفظ القرآن واستظهاره في الصدور، بل أراد أن يُضيف وسيلة أُخرى لحفظه، فاتَّخذ كُتَّابًا للوحي، يكتبون كلَّ ما ينزل على رسول الله ﷺ من القرآن، مبالغةً في تسجيله وتقييده، وزيادةً في التَّوثُّق والضَّبط والاحتياط لكتاب الله تعالى.

وكان من أشهر كُتَّاب الوحي: الخلفاء الأربعة، وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، والزبير بن العوام، وشُرَحبيل بن حَسَنة، وعبد الله بن رواحة، وخالد بن الوليد، وثابت بن قيس، وغيرهم.

وقد اشتهر أنَّ عدد كُتَّاب الوحي خمس وعشرون كاتبًا، ولكن يبدو أنَّه أكثر من ذلك، فقد بلغ عدد الكُتَّاب أكثر من أربعين حسبما أفاده الإحصاء المستقصي

---

١ أخرجه الطبراني في الكبير ١٠/ ٨٩، والديلمي في الفردوس ٢/ ٤٠٠، وذكره السيوطي الجامع الصغير ورمز لحسنه، ينظر: فيض القدير ٤/ ١٩٥ قال المناوي: «رمز المصنف لحسنه، وقال الهيثمي: فيه من لم أعرفهم عن ابن مسعود».

٢ ينظر: النشر في القراءات العشر ١/ ٦.

لبعض المحقِّقين.[١]

فكان رسول الله ﷺ كلَّما نزل عليه شيءٌ من القرآن دعا الكُتَّابَ فأملاه عليهم، فكتبوه على ما يجدونه من أدوات الكتابة حينئذ، مثل الرِّقاع واللِّخاف والأكتاف والعُسُب، وقطع الأديم.[٢]

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «كُنَّا عند رسول الله ﷺ نُؤلِّف القرآنَ منِ الرِّقاع».[٣]

قال أبو بكر البيهقيُّ (أحمد بن الحسين ت٤٥٨هـ): «يُشبه أن يكون المراد به تأليفَ ما نزل من الآيات المتفرّقة في سُورها، وجمعَها فيها بإشارة النَّبيِّ ﷺ».[٤]

وعن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الشّيء يدعو بعضَ من كان يكتبه فيقول: «ضَعوا هذه في السّورة التي يُذْكَر فيه كذا وكذا».[٥]

وضمانًا لعدم اختلاط القُرآن بغيره نهى رسولُ الله ﷺ كَتَبةَ الوحي أن يكتبوا شيئًا غيرَ القرآن، إلَّا في ظروف خاصَّة أو لبعض أناس مخصوصين، ففي حديث أبي سعيد الخدري أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ

١ ينظر: علوم القرآن الكريم للعتر ١٦٧، وقد عزاه إلى ابن حديدة الأنصاري في كتابه «المصباح في كتاب النبي العربي».

٢ الرّقاع: جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد، اللّخاف: هي الحجارة الرقيقة، العُسُب: جريد النَّخل.

٣ أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٨٤ برقم ٢١٦٤٧، والترمذي في سننه ٥/ ٧٣٤ برقم ٣٩٥٤ وقال: حديث حسن غريب، وابن حبان في صحيحه ١/ ٣٢٠ برقم ١١٤، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٤٩، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

٤ الإتقان ١/ ٢٠٣.

٥ أحمد في المسند ١/ ٥٧،٦٩، وأبو داود في الصلاة، باب من جهر بـها / ٢٠٨ رقم ٧٨٦، والترمذي في التفسير، باب: ومن سورة التوبة ٨/ ٢٤٠ برقم ٣٠٨٦، وقال: هذا حديث حسن لا نعرفه إلَّا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس، قلت: ويزيد الفارسي مجهول كما قال أبو حاتم، ينظر: تهذيب التهذيب ١١/ ٣٢٧، وأخرجه ابن حبان في موارد الظمآن ١٢٥، والحاكم ٢/ ٢٢١-٣٣٠ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وضعَّف هذا الحديث ابن عطيَّة في تفسيره المحرر الوجيز ٦/ ٣٩٨، وينظر: تفسير البغوي ٢/ ٢٦٥، تفسير القرطبي ٨/ ٦٢، وابن كثير ٣/ ٧٥، والدر المنثور للسيوطي ٣/ ٣٧٥ وقد زاد نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر والنحاس في ناسخه وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل، وذكره ابن حجر في الكافي الشافي ٧٠، والشوكاني في فتح القدير ٢/ ٣٣١.

فَلْيَمْحُهُ». [1]

فأراد رسول الله ﷺ بذلك أن يُوفّر جهودَهم وهِمَمَهم لحفظ القرآن في المقام الأول. [2]

فَكِتَابةُ القرآنِ على ما يتوفَّر لديهم من وسائل الكتابة بدأت من عصر النبي ﷺ كما قال الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت٢٤٣هـ): «كتابة القرآن ليست محدثة، فإنَّه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنَّه كان مُفرَّقًا في الرِّقاع والأكتاف والعُسُب». [3]

ثم قال: «وإنَّما أمر الصدِّيق بنسخها من مكان إلى مكان، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشر فجمعها جامع، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء». [4]

فهذا النَّص يُوحي بأن عمل الصحابة من كُتَّابِ الوحي رضوان الله عليهم في عهده ﷺ لم يكن جمعًا للقرآن بين دفتين، وإنَّما كان مجرد تسجيلٍ كِتابيٍّ له، على متفرِّقات العِظام والحجارة وغيرها، مع ترتيب سُوره وآياته حسب ما يُوحَى به إلى رسول الله ﷺ. [5]

ويشهد لهذا ما رُوِي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنَّه قال: «قُبِض رسولُ الله ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء». [6] وقال أبو سليمان الخطَّابيّ (حمد بن محمد ت٣٨٨هـ) وغيره: «يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ﷺ إِنَّمَا لم يَجمع القرآن في المصحف لِمَا كان يترقَّبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلمَّا انقضى نزوله بوفاته، ألهم اللهُ الخلفاء الراشدين ذلك، وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأُمَّة، فكان

١ مسلم في الزهد والرقائق، باب: التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ٤/ ٢٢٩٨ برقم ٣٠٠٤.

٢ ينظر: علوم القرآن الكريم للعتر ١٦٧، وعلوم القرآن لزرزور ٨٤.

٣ البرهان ١/ ٢٣٨.

٤ المصدر السابق.

٥ من روائع القرآن ٥١.

٦ ينظر: فتح الباري لابن حجر ٩/ ١٢، وقد رواه بسنده فقال: «وَرَوَيْنَا فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ فَوَائِدِ الدَّيْرِعَاقُولِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدٍ عن زيد بن ثابت..»، وينظر: الإتقان ١/ ٢٠٢.

ابتداء ذلك على يد الصدِّيق بمشورة عمر رضي الله عنهما».[١]

وما سبق تقريره هو الذي مشى عليه أكثرُ من ألَّف في علوم القرآن، ولكن نرى أنَّ الدكتور نور الدِّين عتر ذهب إلى غير ذلك، وأكَّد على أنَّ القرآن قد نُسخ في زمن رسول الله ﷺ فقال: «ومن هنا كان لا بُدَّ أن تتوفَّر نسخٌ كثيرة من القرآن مدونة عند عدد من الصحابة، مثل: أُبي بن كعب، وعبد الله ابن مسعود، ومعاذ بن جبل، فبغير شكٍّ جمعوا القرآن، والدلائل عليه متظاهرة، وكذلك السيدة عائشة رضي الله عنها.

وثمَّة نصوص تُثبت كثرةَ كتابة القرآن وانتشاره مكتوبًا، وتؤكِّد ما ذهبنا إليه، نذكر منها أن النبي ﷺ: (نهى عن أن يُسافر بالقرآنِ إلى أرضِ العدو).[٢] وفي لفظ لمسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُو).[٣]

وهذا ظاهر في وجود المصاحف عندهم مكتوبة كما أشار البخاري في صحيحه،[٤] وإن لم تكن قد سُمِّيت بهذا الاسم في ذلك الوقت.

وكذلك كتابه ﷺ المشهور إلى عمرو بن حزم: (أن لا يمسَّ القرآن إلَّا طاهر).[٥]

وقد تظاهرت الأخبار أنَّ سبب إسلام عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه هو سماعه القرآن يُقرأ في المصحف،[٦] وغير ذلك من الأخبار في هذا الباب تثبت وجود القرآن عندهم مكتوبًا في نسخ عديدة لديهم في عهد النَّبيِّ ﷺ».[٧]

ولكن قد يُقال: إنَّ الأدلة التي ذكرت محتملة، وقد يراد منها جزء من القرآن،

---

١ ينظر: فتح الباري ٩/ ١٢، والإتقان ١/ ٢٠٢.

٢ البخاري في الجهاد والسير، باب: السفر بالمصاحف ٣/ ١٠٩٠ برقم ٢٨٢٨.

٣ مسلم في الإمارة، باب: النهي أن يسافر بالمصحف ٣/ ١٤٩٠ برقم ١٨٦٩.

٤ البخاري في كتاب الجهاد والسير ٣/ ١٠٩٠.

٥ مالك في موطئه في كتاب القرآن، باب: الأمر بالوضوء لمن مسَّ القرآن ١/ ١٩٩، وينظر: نصب الراية ١/ ١٩٦. وقال ابن عبد البر في التمهيد ١٧/ ٣٣٨: «لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث، وقد رُوي مُسندًا من وجه صالح، وهو كتاب مشهور عند أهل السير، معروف عند أهل العلم معرفةً يُستَغنى بها في شهرتها عن الإسناد».

٦ ينظر: أسد الغابة ٤/ ١٤٦، الإصابة ٤/ ٣٨١.

٧ ينظر: علوم القرآن الكريم ١٦٨.

أو بعض القرآن.

إلَّا أنَّ الدَّواعي لجمع القرآن وكتابته في زمن رسول الله ﷺ كانت موجودة، وهذا يؤيِّد ما ذهب إليه الدكتور نور الدِّين، وقد ذهب لمثل هذا الرأي الأستاذ محمد عزَّة دَروزة في مقدمته للتفسير الحديث فقال: «ولا يعقل في حال أن يُهمل النَّبيُّ ﷺ تدوينَ ما كان ينزل عليه من الوحي القرآني، والعناية بهذا التدوين عناية فائقة، والحرص على حفظ المدونات حرصًا شديدًا، بل والمعقول أن يكون ذلك من أمهات مشاغل النَّبيِّ ﷺ المستمرة أيضًا... الخ».[١]

المبحث الثاني: جمع القرآن الكريم في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه

تمهيد

بعد أن انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، تولى خلافة المسلمين الصدِّيقُ أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولكن ما لبث أن واجهته مصاعبُ جمَّة وأحداثٌ شِداد؛ حيث ارتدَّت بعضُ قبائل العرب عن الإسلام، وامتنع بعضهم الآخر عن أداء الزكاة، وكان لا بد من مواجهة هذا الخطر الداهم على دولة الإسلام الفتية، لتثبيت دعائم الدعوة، والقضاء على الفتنة، فجهَّز أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الجيوشَ لمواجهة المرتدين، وكان غالب أفراد هذه الجيوش من صحابة رسول الله ﷺ وفيهم حفاظ القرآن، ووقعت المواقع، وكان منها موقعة اليمامة سنة ١١ للهجرة، وذلك لتعقُّب مسيلمة الكذَّاب وأتباعَه من بني حنيفة، وكانت هذه المعركة حامية الوطيس، فاستشهد فيها كثير من قُرَّاء القرآن وحُفَّاظه من الصحابة، فقد كان القُرّاء أكثر الناس إقدامًا بين المقاتلين، فكثر فيهم القتل، وقتل منهم حوالي سبعون من القراء، وقد أفزع هذا الأمرُ بعضَ الصحابةِ، حيث خشي أن يذهب بعضُ القرآنِ بذهاب حَفَظَته، وكان في مقدمتهم عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فدخل على أبي بكر رضي الله عنه وأخبره الخبر، واقترح عليه أن يُجمع القرآن في مصحف واحد -بمحضر من الصحابة- خشية ضياعه، فتردَّد أبو

١ التفسير الحديث ١/ ٨٦.

بكر رضي الله عنه عن فعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ، فلا زال يراجعه عمر في ذلك حتى شرح الله صدره، فكلَّف زيد بن ثابت بذلك، إلى أن جمعت نسخة من القرآن بمحضر من الصحابة وحفَّاظ كتاب الله، وَكَانَتْ هذه الصُّحُفُ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا الْقُرْآنُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَر، رضي الله عنهم جميعًا.[١]

وقد لاقى فعل أبي بكر رضي الله عنه استحسان الصحابة جميعًا، فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يثني على أبي بكر وفعله، فقد أخرج ابن أبي داود بإسناد حسن عن عبد خير[٢] قال: «سمعت عليًّا يقول: أعظم الناس في المصاحف أجرًا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أوَّل من جمع بين اللَّوحين».[٣]

ولـمَّا اتَّسعت رقعةُ الدولة الإسلامية في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه، وتَفرَّق صحابةُ رسول الله ﷺ في الأصقاع مجاهدين وفاتحين، أخذ الصحابة على عاتقهم تعليمَ القرآن للداخلين الجُدد في الإسلام، ممَّن بَعُدَ عهدُهم عن عصر الرِّسالة والوحي، وكان كلُّ صحابي يُقْرِئ النَّاس بالحَرف الذي تلقَّاه عن رسول الله ﷺ، أضف إلى ذلك المصاحف التي كانت بأيدي بعض الصحابة رضوان الله عليهم، والتي كانت تحمل طابعًا شخصيًّا، لما تحمله من تفسيرات وتعليقات، ولم تكتسب الدقَّة التي كانت للمصحف الذي جمعه أبو بكر رضي الله عنه، فنشأ نتيجة لذلك خلافٌ بين المسلمين الجُدد، فكان لا بُدَّ من تدارك ذلك الخلاف الذي وصل في بعض الأحيان إلى ما لا تحمد عُقبَاه.

ففي الحديث الذي يرويه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

١ البخاري في باب جمع القرآن، كتاب فضائل القرآن ٤/ ١٧٢٠ برقم ٤٤٠٢.

٢ عبد خير بن يزيد بن جوني بن عبد عمرو الهمداني أبو عمارة الكوفي: من ثقات التابعين، أدرك الجاهية وعُمِّرَ، وروى عن أبي بكر ولم يذكر سماعًا، وروى عن ابن مسعود وعلي وزيد بن أرقم وعائشة. ينظر: تهذيب التهذيب ٦/ ١١٣، ١١٤.

٣ ينظر: المصاحف ١/ ١٦٥؛ فتح الباري ٩/ ١٢ وقد حسَّن ابن حجر إسناد الحديث.

أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ، نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بن ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنْ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنْ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ سَمِعَ زَيْدَ بنَ ثَابِتٍ قَالَ: فَقَدْتُ آيَةً مِنْ الْأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ، قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا فَالْتَمَسْنَاهَا فَوَجَدْنَاهَا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فَأَلْحَقْنَاهَا فِي سُورَتِهَا فِي الْمُصْحَفِ».[١]

وأخرج ابن أبي داود عن أبي قلابة (عبد الله بن زيد الجرمي ت١٠٤هـ) قال: لَمَّا كان في خلافة عثمان جعل المعلم يُعلِّم قراءةَ الرَّجل، والمعلم يُعلِّم قراءةَ الرَّجل، فجعل الغِلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، حتى كَفَرَ بعضُهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيبًا فقال: «أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عنِّي من الأمصار أشدُّ فيه اختلافًا وأشدُّ لحنًا، اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للنَّاس إمامًا».[٢]

ويظهر أنَّ قصةَ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وما وقع معه متقدِّمةٌ على الحادثة التي وقعت مع عثمان في القراءة، فلمَّا رأى حذيفة الاختلاف بين أهل الشَّام والعراق في القراءة ركب إلى عثمان رضي الله عنه، وصادف أن عثمان رضي الله عنه أيضًا كان وقع له نحو ذلك، وبذلك تحقَّق عنده ما ظنَّه من ذلك.[٣]

١ البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ٤/ ١٩٠٨ برقم ٤٧٠٢.

٢ المصاحف ١/ ٢١١، ٢١٢.

٣ ينظر: فتح الباري ٩/ ١٨.

وفيما يأتي تحليل وتفصيل لحدث جمع القرآن في زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه.

١: **تاريخ فكرة الجمع العثماني**: تُؤكِّد المصادر أنَّ هذا الجمع كان في سنة خمس وعشرين للهجرة من السنة الثالثة أو الثانية من خلافة عثمان ﵁، كما قال ابن حجر رحمه الله.[1]

٢: **دوافع الجمع العثماني**: رأينا من خلال الأحاديث التي وردت في جمع عثمان ﵁ للقرآن، أنَّه مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتفرُّق الصحابة في الأصقاع، ودخول عناصر جديدة في الإسلام، نشأ اختلافٌ بين النَّاس في وجوه قراءة القرآن، فجعل بعضهم ينكر قراءةَ الآخر ويُخطِّئه، ممَّا حدا بسيدنا عثمان ﵁ للقيام بهذا العمل درءًا للفتنة وللاختلاف.

وقد قال ابن التِّين (عبد الواحد بن التين الصفاقسي، ت٦١١هـ) وغيره: «إنَّ جمع عثمان للقرآن كان لَمَّا كَثُر الاختلاف في وجوه القراءة، حتى قرؤوه بلغاتهم على اتِّسَاع اللُّغات، فأدَّى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض، فَخَشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصُّحف في مصحف واحد مرتِّبًا لسُوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، مُحتجًّا بأنَّه نزل بلغتهم».[2]

كما قال الحارث المحاسبي: «إنَّما حمل عثمان النَّاسَ على القراءة بوجه واحد، على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لَـمّا خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات».[3]

٣: **اللَّجنة التي اختارها عثمان ﵁ لجمع القرآن**: تُؤكِّد الرواية التي أخرجها البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ الذين قاموا بمهمَّة الجمع بتكليفٍ من عثمان رضي الله عنهم أربعة: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص،

١ فتح الباري ٩/ ١٧، وينظر: الإتقان ١/ ٢٠٩.

٢ فتح الباري ٩/ ٢١، الإتقان ١/ ٢١٠.

٣ الإتقان ١/ ٢١١.

وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكان هؤلاء الأربعة من خِيرة الصحابة وثقات الحفاظ، ثلاثة من قريش، وواحد من الأنصار، وهو زيد بن ثابت رضي الله عنهم جميعًا.

ولكن نجد من تتبُّع الروايات ما يدلُّ على أنَّ الذين قاموا بهذا العمل أكثر من أربعة، فقد روى ابن أبي داود عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال: «لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلًا من قريش والأنصار، فيهم أُبَيّ بن كعب وزيد بن ثابت، قال: فبعثوا إلى الرَّبْعَة[1] التي في بيت عمر فَجِيءَ بها، قال: وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارؤوا في شيء أخَّروه، قال محمد بن سيرين: فقلت لكثير بن أفلح -وكان فيهم فيمن يكتب- هل تدرون لِمَ كانوا يُؤخِّرُونَهُ؟ قال: لا، قال محمد: فظننت ظنًّا: إنَّما كانوا يؤخِّرونها لينظروا أحدثهم عهدًا بالعرضة الآخرة، فيكتبونها على قوله».[2]

وفي رواية مصعب بن سعد: «فقال عثمان: مَن أكتبُ النَّاس؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيدُ بن ثابت، قال: فأيُّ النَّاس أعرب -وفي رواية: أفصح- قالوا: سعيد بن العاص، قال عثمان: فلْيُملِ سعيد وليكتب زيد».[3]

قال ابن حجر: «كأنَّ ابتداء الأمر كان لزيد وسعيد للمعنى المذكور فيهما في رواية مصعب، ثمَّ احتاجوا إلى مَن يساعد في الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد من المصاحف التي تُرسل إلى الآفاق، فأضافوا إلى زيد من ذُكر، ثمَّ استظهروا بأبيِّ بن كعب في الإملاء».[4]

وقد وردت بعض الروايات التفصيليّة التي تَذْكُر أسماءَ الذين شاركوا بهذا العمل فبلغ عددهم تسعة من جملة الاثني عشر الذين ذُكِروا في الرواية التي أخرجها ابن

---

١ الربعة: هي الكتب المجتمعة. ينظر: فضائل القرآن لابن كثير ٣٩.

٢ المصاحف ١/ ٢٢١، فضائل القرآن لابن كثير ٣٩، وقال: إسناده صحيح، فتح الباري ٩/ ١٩، الإتقان ١/ ٢٠٩.

٣ المصاحف لابن أبي داود ١/ ٢١٧، الفتح ٩/ ١٩.

٤ فتح الباري ٩/ ١٩.

أبي داود.[١]

ويمكن أن يُقَال: إنَّ اللَّجنة الرباعيَّة كانت هي الرئيسة، ورفدها في العمل خبراء، عملوا معها لكتابة المصاحف التي تكفي لحاجة المسلمين.[٢]

وممن وردت الرواياتُ بأسمائهم غير الأربعة الذين وردوا في رواية البخاري: مالك بن أبي عامر جَدُّ مالك بن أنس، وكثير بن أفلح، وأبيّ بن كعب، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، رضي الله عنهم جميعًا.[٣]

٤: **المنهج الذي رسمه عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لجمع القرآن**: بعد أن أحسَّ عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالخطر الذي يُحْدِق بالأُمَّة، نتيجة هذا الاختلاف الذي حصل بين قُرَّاء القرآن الكريم، استقرَّ رأيه على جمع القرآن وكتابته بالمصاحف وإرسالها إلى الأمصار لتكون إمامًا لهم عند الاختلاف، وكان ذلك كله بإقرار الصحابة رضوان الله عليهم وموافقتهم على ذلك الفعل، وقد سلك في سبيل تحقيق هذا الأمر منهجًا يحقّق لتلك النُّسخ التي ستكتب الدِّقَّة والثِّقة والقبول من جميع أفراد المسلمين:

أولًا: أرسل إلى حفصة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها لِتُرسِلَ إليه بالصُّحف التي نُسِخت في عهد أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثمَّ آلت إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومنه إلى حفصة رضي الله عنها؛ لتنسخ هذه الصحف بالمصاحف ثمَّ تُردُّ إليها، وقد سبق القول بأنَّ هذه الصُّحف التي جمعت في زمن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانت تَتَميَّز بالدِّقَّة والضَّبط وشِدَّة التَّحرِّي.

ثانيًا: قام عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالنَّاس خطيبًا فقال لهم: «عَزمتُ على مَن عنده شيء من القرآن سمعه من رسول الله ﷺ لَمَا أتاني به»، فجعل الرَّجل يأتيه باللَّوح والكتف والعُسُب فيه الكِتاب، فمن أتاه بشيء قال: أنت سمعت من رسول الله ﷺ؟ ثمَّ قال: أيُّ النَّاس أفصح؟ قالوا: سعيد بن العاص، ثمَّ قال: أي النَّاس أكتب؟ قالوا: زيد بن

١ ينظر: فتح الباري ٩/ ١٩.
٢ ينظر: علوم القرآن الكريم للعتر ١٧٤.
٣ ينظر: الفتح ٩/ ١٩.

ثابت، قال: فليكتب زيد وليُمْلِ سعيد، قال: وكتب مصاحف فقسمها في الأمصار».[1]

قال أبو شامة: «لم تكن البيّنة على أصل القرآن، فقد كان معلومًا لهم كما ذكر، وإنَّما كانت على ما أحضروه من الرِّقاع المكتوبة، فَطَلَبُ البيّنة عليها أنَّها كانت كُتِبَت بين يدي رسول الله ﷺ، وبإذنه على ما سُمِعَ من لفظه، على ما سبق بيانه، ولهذا قال: فلْيُمْلِ سعيد، يعني: من الرِّقاع التي أُحْضِرت، ولو كانوا كتبوا من حفظهم لم يحتج زيدٌ فيما كتبه إلى مَن يُمليه عليه».[2]

ثالثًا: اعتماد اللِّسان القُرشي عند حدوث الخِلاف بين القرشيين الثلاثة وزيد بن ثابت رضي الله عنهم. قال أبو شامة: «ومعنى قول عثمان رضي الله عنه: «إنَّ القرآن أُنزل بلسان قريش»، أي: معظمه بلسانهم، فإذا وقع الاختلاف في كلمة فَوَضْعُهَا على موافقة لسان قريش أولى من لسان غيرهم، أو المراد: نزل في الابتداء بلسانهم، ثمَّ أُبيح بعد ذلك أن يُقرأ بسبعة أحرف».[3]

قال ابن حجر: «اقتصر من سائر اللّغات على لغة قريش، مُحتجًّا بأنَّه نزل بلغتهم، وإن كان قد تُوسِّع في قِراءته بلغة غيرهم رفعًا للحرج والمشقَّة في ابتداء الأمر، فرأى أنَّ الحاجة إلى ذلك انتهت، فاقتصر على لغة واحدة، وكانت لغة قريش أرجح اللّغات فاقتصر عليها».[4]

رابعًا: كما أنه كان لا يكتب شيئًا من القرآن إلَّا إذا كان مكتوبًا بين يدي رسول الله ﷺ، ومُوَافقًا للعرضة الأخيرة على رسول الله ﷺ، فكانوا بنسخهم للقرآن يعتمدون على حفظ الصدور والكتابة التي كانت بين يدي رسول الله ﷺ، ولا يقتصرون على واحدة دُون الأخرى، ومن ذلك ما تقدم في صحيح البخاري أنَّ زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «فَقَدْتُ آيةً من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كُنتُ أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

١ المصاحف لابن أبي داود ١/ ٢١٧، جمال القراء ١/ ٨٩، المرشد الوجيز ٥٨.

٢ المرشد الوجيز ٥٩، ٦٠.

٣ المرشد ٦٩.

٤ فتح الباري ٩/ ٢١.

رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فألحقناها في سورتها من المصحف».[١]

٥: ميّزات وخصائص المصحف الذي جمِع في زمن عثمان رضي الله عنه[٢]

١. الاقتصار على القراءات المتواترة من الأحرف السبعة، واستبعاد ما كانت روايته آحادًا.[٣]

٢. إهمال ما نُسِخت تلاوته ولم يستقرَّ في العرضة الأخيرة، ومن ذلك ما رواه ابن أبي داود عن كثير بن أفلح، كما تقدم. وقد سبق في ذلك كلام أبي بكر الباقلاني فلينظر في موضعه.[٤]

٣. ترتيب السُّور على الوجه المعروف الآن، ويؤكِّده قولُ الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ): «والجمع الثالث: وهو ترتيب السُّور، كان في خلافة عثمان»،[٥] وقولُ ابن التّين: «فَنَسَخَ تلك الصحف في مصحف واحد مُرتِّبًا لسوره».[٦]

٤. كتابة القُرآن بلغة قريش؛ لأنَّه إنَّما نزل بلسانهم، يدلُّ على ذلك ما جاء في حديث البخاري: «فاكتبوه بلسان قريش، فإنَّما نزل بلسانهم، ففعلوا».[٧]

وهذا لا يدلُّ على إبطال الأحرف السبعة، لما هو معلوم من قواعد رسم المصحف، أنَّه لم يكن مشكولًا ولا منقوطًا، كما أنَّه لم تثبت فيه ألفات المد حسب

١ البخاري في فضائل القرآن ٤/ ١٩٠٨ برقم ٤٧٠٢، وينظر: فتح الباري لابن حجر ٩/ ٢١، وقد قال: «وقع في رواية إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع عن ابن شهاب: أنَّ فقده إيَّاها إنَّما كان في خلافة أبي بكر، وهو وَهْمٌ منه، والصحيح ما في الصحيح، وأنَّ الذي فقده في خلافة أبي بكر الآيتان من آخر براءة، وأمَّا التي في الأحزاب ففقدها لمَّا كتب المصحف في خلافة عثمان، وجَزم ابنُ كثير بما وقع في رواية ابن مجمع [أي: أن فقده إيَّاها إنَّما كان في خلافة أبي بكر]، وليس كذلك، والله أعلم».

٢ ينظر: مناهل العرفان ١/ ٢٥٣-٢٥٤، المدخل لأبي شهبة ٢٥١، علوم القرآن لزرزور ٩٤، علوم القرآن الكريم للعتر ١٧٤، ١٧٥، دراسات في علوم القرآن ٩٩.

٣ ينظر كلام الباقلاني في الانتصار ١/ ٦٥.

٤ الانتصار ١/ ٦٥.

٥ الإتقان ١/ ٢٠٨، البرهان ١/ ٢٣٨.

٦ الإتقان ١/ ٢١٠.

٧ البخاري، وسبق تخريجه.

قواعد رسم الألف وعدمها.[1]

وعندما تكون القراءات ممَّا لا يحتمله الرسم الواحد، كانت تُوزَّع على المصاحف المتعدِّدة التي نُسِخت في ذلك الوقت، وبذلك لم يسقط عثمانُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ شيئًا من قراءات القرآن، ولم يمنع أحدًا من القراءة بأيِّ حرف شاء، ما دامت هذه الحروف كلّها منقولة بالتَّواتر عن النبي ﷺ.

إلَّا أنَّه لا بدَّ من التَّأكيد على أنَّ القراءات التي وصلت إلينا متواترةً ليست هي الأحرف السبعة ولا مشتملة لعمومها، إنَّما هي مشتملة لما يحتمله الرَّسم منها فحسب، وهو ما أكَّد عليه أئمَّة هذا الشأن، فقد قال السيوطي: «ذهب جماهير العلماء من السَّلف والخَلَف وأئمَّة المسلمين، إلى أنَّها مُشتملة على ما يحتمل رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعةً للعرضة الأخيرة التي عرضها النبيّ ﷺ على جبريل، متضمِّنة لها، لم تترك حرفًا منها، قال ابن الجزري: وهذا هو الذي يظهر صوابه».[2]

وبذلك يكون لقراءة رسم المصحف طريقان: الموافقة للرَّسم المكتوب تحقيقًا، والموافقة احتمالًا وتقديرًا.[3]

٥. تجريد المصحف ممَّا ليس قرآنًا، كالشروح والتَّفاسير التي كان يكتبها بعض الصحابة في مصاحفهم كما ورد في كلام الباقلاني: «ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ومنسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه».[4]

٦: الفرق بين جمع أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه وجمع عثمان رضي الله عنه: يتَّضح من خلال ما سبق أنَّ جمع أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يختلف عن جمع عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من جهتين وهما: الباعث والكيفية.

فالباعث لدى أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لجمع القرآن الكريم: هو خشية ذهابه بذهاب

١ ينظر: علوم القرآن الكريم للعتر ١٧٤.

٢ الإتقان ١/ ١٧٧.

٣ علوم القرآن الكريم للعتر ١٧٤.

٤ الانتصار ١/ ٦٥.

حَمَلَتِه، حين استحرَّ القتل بالقُرَّاء.

أمَّا الباعث لدى عثمان ﵁: إنَّما هو كثرة الاختلاف في وجوه القراءة، حين شاهد هذا الاختلاف في الأمصار، وخطَّأ بعضُهم بعضًا..[١]

وقد بيَّن لنا هذه النقطة بوضوح القاضي أبو بكر الباقلاني فقال: «لم يقصد عثمانُ قصدَ أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثَّابتة المعروفة عن النَّبيّ ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أُثبت مع تنزيل، ومنسوخَ تلاوته كُتب مع مُثبت رسمه، ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعده، وأنَّه لم يُسْقِط شيئًا من القراءات الثابتة عن رسول ﷺ، ولا منع منها وحَظَرها».[٢]

وقد سبق في ذلك كلام ابن التين والحارث المحاسبي بالمعنى ذاته.

فَعَمَلُ أبي بكر ﵁ إنَّما كان جمع القرآن كلّه في نسخة مُعتمَدة يشترك فيها الجميع؛ لخشية أن يذهب من القرآن شيءٌ بذهاب حَمَلته؛ لأنَّه لم يكن مجموعًا في نسخة واحدة موثَّقة ذلك التَّوثيق، بل كان ما وُجِد من نُسَخِ المصحف عند كُتَّاب الوَحي على مسؤوليتهم الخاصَّة.[٣]

غير أنَّ تَعدُّد المصاحف بجوار مصحف أبي بكر ﵁، وانتشار القُرَّاء في الأمصار تَسَبَّبَ في تَعَدُّد القراءات واختلاف القُراء.[٤]

أمَّا عثمان ﵁ فقد قصد من جمعه للقرآن جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة.

كما أنَّه ينبغي أن نشير إلى أنَّ هناك فرقًا بين جمع أبي بكر ﵁ وجمع عثمان ﵁ من جهة الـمُكلَّف بالجمع، فأبو بكر ﵁ اعتمد في جمعه للقرآن على زيد بن

١ ينظر: مباحث في علوم القرآن للقطان ١٣٢، ١٣٣.

٢ ينظر: الانتصار ١/ ٦٥، البرهان ١/ ٢٣٥، ٢٣٦، الإتقان ١/ ٢١٠، ٢١١.

٣ علوم القرآن الكريم، لعتر ١٧٢.

٤ علوم القرآن لزرزور ٩٢.

ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقط، مع معاونة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك بعض الصحابة.

أمَّا عثمان فقد اعتمد في كتابة المصحف على لجنة مكونة من أربعة أشخاص من كبار القُرَّاء والحُفَّاظ، إضافة إلى من كان يعينهم من الصَّحَابة كما سبق تقريره، ولعلَّ سبب هذا الفرق مضاعفة الجهد هنا بسبب كتابة النسخ المتعددة.[١]

كما أنَّ الصُّحُف التي جُمعت في زمن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنَّما كان المراد منها أن تبقى في دار الخلافة مُعْتَمَدًا ومَرْجِعًا للدولة وللخليفة، ولم يكن هناك خوفٌ من الاختلاف في القراءة نتيجةً للعُجْمَة واتِّسَاع الرقْعةِ الإسلاميَّة.

أمَّا في زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فالمراد من جمع المصحف ونسخه توزيعُه في الأمصار لتتوحَّد القراءة على أساسه.[٢]

الخاتمة

وأذكر فيها أهم وأبرز نتائج البحث:

- يُطلق لفظ جمع القرآن ويُراد منه معنيان، الأول: الحفظ والاستظهار في الصدور، والثاني: الكتابة والتدوين في الصحف والسطور، وكلا هذين المعنيين لا يخرجان عن المعنى اللغوي لكلمة «جمع»، إلا أن الأول جمع معنوي، والثاني جمع مادي.

- كانت الأُميَّة المنتشرة في عصر النبوّة العاملَ الأبرز في اعتماد الصحابة رضوان الله عليهم على الحفظ، وذلك بالتلقِّي والسَّماع من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان حفظ القرآن العمدة في تناقله فيما بينهم، فحفظ القرآن جمع من الصحابة في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ساعدهم على ذلك جملة من العوامل.

- لم يكتفِ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظ القرآن واستظهاره في الصدور، فاتخذ لنفسه كُتَّابًا

١ ينظر: من روائع القرآن ٥٦.
٢ المصدر السابق ٥٧.

للوحي، يملي عليهم ما يُوحَى به إليه، وذلك مبالغة في تسجيله وتقييده، وزيادة في التوثُّق والضّبط والاحتياط لكتاب الله تعالى.

- لم يكن القرآن الكريم مجموعًا بين دفتين في زمن رسول الله ﷺ، وإنَّما كان مجرد تسجيل كتابيّ على مُتفرِّقات من الرّقاع واللّخاف والأكتاف والعُسُب وقطع الأديم، مع ترتيب للسُّور، والآيات في سورها. إلَّا أنَّ هناك من ذهب إلى أنَّ الجمع الأول للقرآن الكريم كان في عصر النبوَّة، واستدلَّ لذلك بجملة من الأحاديث، وهو رأي محتمل، والله أعلم.

- الجمع العثماني للقرآن الكريم كان في السنة (٢٥) للهجرة، لسنتين أو ثلاث من خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه، وقد دفعهم لهذا الجمع كثرة الاختلافات في وجوه القراءة.

- أبرز الذين كُلِّفوا بالجمع العثماني للقرآن هم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث، وقد كانوا من الحفظة المتقنين، وزيد بن ثابت هو ممّن شهد العرضة الأخيرة للقرآن على رسول الله ﷺ، وهو من كُلِّف بجمع القرآن في زمن أبي بكر رضي الله عنه، إلَّا أنَّ الروايات تدلُّ على أنَّ الذين قاموا بهذا العمل أكثر من هؤلاء الأربعة، ممَّا يؤكِّد أنَّ اللجنة الرُّباعيَّة كانت الرئيسة إلَّا أنَّها كانت تستعين بمن تراهم أهلًا لمثل هذا الأمر الخطير.

- كان المصحف الذي جُمع في زمن أبي بكر رضي الله عنه هو الإمام الذي اعتمدت عليه اللجنةُ الرُّباعيَّة في الجمع العثمانيّ، وذلك لِمَا يتَّسم به من الدِّقة والضَّبط والتَّحرِّي، وقد كان عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها.

- لم يقتصر سيدنا عثمان رضي الله عنه على المصحف الذي نُسِخ في زمن أبي بكر رضي الله عنه، بل حَثَّ من كان عنده شيء مكتوب من القرآن الكريم أن يحضره، على أن يقترن هذا المكتوب بالبيّنة على أنَّه مما كُتِب بين يدي رسول الله ﷺ وبإذنه، وممَّا سُمِعَ كذلك من لفظه، موافقًا للعرضة الأخيرة بين يديه ﷺ، وهو

زيادة في التَّثبُّت والتَّوثيق.

- أرشد عثمان رضي الله عنه اللجنة المختارة لجمع القرآن إلى كتابة ما يختلفون فيه من ألفاظ بلسان قريش، وذلك لأنَّ معظم القرآن نزل بلسانهم، ولا بُدَّ من التَّنبيه على أنَّ اختلافهم إنَّما هو في طريقة الكتابة، وليس في أصل الكلمة.

- اقتصرت النسخ التي كتبت في زمن عثمان رضي الله عنه على القراءات المتواترة من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، واستبعد كلَّ ما كانت روايته آحادية، أو كان من قبيل التفسير والشرح، وعندما تكون القراءة مما لا يحتمله الرسم الواحد، فكانت توزَّع على المصاحف المتعدِّدة التي نسخت في ذلك الوقت، وأرسلت إلى الأصقاع.

- لا بدَّ من التَّأكيد على أنَّ ترتيب السُّور في المصحف الذي جُمع في العهد العثمانيِّ كان على الوجه الذي نعرفه في يومنا هذا.

- القراءات القرآنيَّة التي وصلت إلينا مُتواترةً ليست هي الأحرف السبعة ولا مُشتملة لعمومها، إنَّما هي مشتملة لما يحتمله الرَّسم منها فحسب.

هذا، واللهَ أسأل أن يجعل القُرآنَ الكريم رَبيع صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب غمومنا وهمومنا، وأن يجعله قائدنا إلى جنات النَّعيم، نِعْمَ مَن يُسأل ربنا، ونِعْمَ النصيرُ إلهُنا، والحمد لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

- **إتقان البرهان في علوم القرآن**، لفضل حسن عباس، دار الفرقان، الأردن، ط١، ١٩٩٧م.
- **الإتقان في علوم القرآن**، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لأبي الحسن عز الدين، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، ابن الأثير، ت محمد إبراهيم البنا ومحمد عاشور ومحمود فاي، مطبعة دار الشعب.
- **الإصابة في تمييز الصحابة**، لأحمد بن علي بن حجر، أبي الفضل العسقلاني، وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **الأعلام**، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- **الانتصار للقرآن**، لأبي بكر الباقلاني، محمد بن الطيب القاضي المالكي، ت محمد عصام القضاة، دار الفتح، عَمَّان، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- **البرهان في علوم القرآن**، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ت محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ودار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.
- **التفسير الحديث**، لمحمد عزة دروزة، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٠م.
- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لأبي عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، ت مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
- **تهذيب التهذيب**، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م.
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لأبي جعفر الطبري، محمد بن جرير، ت أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، ت إبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٠هـ.
- **جمال القراء وكمال الإقراء**، لأبي الحسن، علم الدين السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري، ت علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٧م.
- **جمع القرآن وتوثيقه في عهد النبي ﷺ**، لعمر يوسف حمزة، مجلة كلية الدراسات

الإسلامية والعربية، دبي، العدد (٢٣).

- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، لجلال الدين السيوطي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- **دراسات في علوم القرآن الكريم**، للدكتور فهد الرومي، نشر مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٩٩٣م.
- **سنن أبي داود**، لأبي داود السجستاني الأزدي، سليمان بن الأشعث، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، مع تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت، نشر دار الفكر، بيروت.
- **سنن الترمذي**، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، ت أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٥م.
- **شرح صحيح مسلم**، لأبي زكريا، محيي الدِّين، يحيى بن شرف النووي، ت عصام الصبابطي وحازم محمد وعماد عامر، دار أبي حيان، مصر، ط١، ١٩٩٥م.
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
- **صحيح البخاري**، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.
- **صحيح مسلم**، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **علوم القرآن الكريم**، لعدنان زرزور، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- **علوم القرآن الكريم**، لنور الدين عتر، دار الخير، دمشق، ط١، ١٩٩٣.
- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، لأبي الفتح، محمد بن محمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، ت لجنة التراث، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م.
- **غاية النهاية في طبقات القراء**، لأبي الخير، شمس الدين ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر، طبع لأول مرة بنفقة الناشر ومكتبة الخانجي بمصر، ط١، ١٩٣٢م.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأحمد بن علي بن حجر، أبي الفضل العسقلاني، ترقيم الأبواب والأحاديث: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح وإشراف: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، لمحمد بن علي الشوكاني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٨٣هـ.
- **الفتوح الإسلامية عبر التاريخ**، لعبد العزيز العمري، دار اشبيليا، الرياض، ط١، ١٩٩٧م.

- **الفردوس بمأثور الخطاب**، لأبي شجاع، شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني، ت السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- **فضائل القرآن**، لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقي، ت محمد إبراهيم البنا، دار القبلة، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
- **لسان العرب**، لأبي الفضل محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- **مباحث في علوم القرآن**، لصبحي الصالح، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ط١، ١٩٥٨م.
- **مباحث في علوم القرآن**، للشيخ مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٣٩٦هـ.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وعبد العال السيد إبراهيم ومحمد العناني، الدوحة، ط١، ١٣٩٨هـ.
- **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، لمحمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، لأبي القاسم، شهاب الدين، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي، المعروف بأبي شامة، ت طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، ١٩٧٥م.
- **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبد الله الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، ت مصطفى عبد القادر عطا، تعليقات الذهبي في التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- **المصاحف**، لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ت محب الدين عبد السبحان واعظ، وزارة الأوقاف، قطر، ط١، ١٩٩٥م.
- **المعجم الكبير**، لأبي القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد، ت حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٩٨٣م.
- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، لأبي العباس، أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، ت محيي الدين ديب ميستو وأحمد محمد السيد ويوسف علي بديوي ومحمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، دار الكلم الطيب، دمشق وبيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- **مقاييس اللغة**، لأبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ت عبد السلام

محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

- **مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية)**، تصحيح: آرثر جفري، دار الصاوي، مصر، ١٣٩٢هـ.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط٣، ١٣٧٢هـ.
- **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت حسين سليم أسد الدّاراني، عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، ط١، ١٩٩٢م.
- **الموطأ**، للإمام مالك بن أنس، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- **النشر في القراءات العشر**، لأبي الخير، شمس الدين، محمد بن محمد بن محمد الجزري، ت علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، مصر.
- **نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي**، لأبي محمد، جمال الدين، عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، ت محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، ودار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط١، ١٩٩٧م.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لأبي العباس شمس الدِّين، أحمد بن محمد ابن خلّكان البرمكي الإربلي، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت.